المصري مصطفى عيسى يحتفي أنطولوجيّا بالإنسان والحيوان والنبات

القاهرة - يتواصل حتى الثلاثين من أكتوبر الجاري بقاعة الباب سليم ساحة متحف الفن المصري الحديث بدار الأوبرا بالقاهرة، معرض الفنان والناقد التشكيلي المصري مصطفى عيسى المعنون بـ"جذور".

وحول فلسفة العرض يقول عيسى "يبقى في عنوان الجذور ثمة شيء هام يتعلق بفكرة الذاكرة واستحضارها للبعيد المتواري في منطقة قد يراها البعض مُطفأة وغير منظورة، إذ أن الجذر الحيّ يمدّ الآخرين بطاقة إيجابية نطالعها في علاقة حميمة بين المرء وما يحيط به من خضرة لها جذر يمتدّ في الأسفل عميقا، يبقى ما في الأعلى بمثابة تعبير عن الحياة التي يوضع فيها جسده ويتحرّك. إنه بُعد أنطولوجي بجدارة طفق يبني نستولوجيا محسوسة وجديرة بالانتباه في ما بين البشر وما يحيط بهم.. فلكل منا جذور: البشر والنباتات والحيوان على حد سواء".

لوحات عيسى تؤكّد أن فكرة الذاكرة واستحضارها للبعيد المتواري في منطقة ما يمدّ الآخرين بطاقة إيجابية

ويضيف "في الإطار قد أستدرج طائر الهدهد، كونه يحمل من الذكرى قدرا لا بأس به، ولا يزال الرمز يطوف عنده، بروح من سيرة الجمعي والتاريخي، أرى أن الرمز لا يزال يطوف به، من حيث يبرّر جانبه الديني حبنا لطائر ميّزه ذكاءه وجماله. هل ثمة علاقة بين حضور شجرة عتيقة وبين رواح طائر حمل رسالة، ربما؟ ففي الفن قد تمثل الاحتمالات وجودا قابلا للتحقّق، وعلينا أن نتيقن من ذلك".

وينحاز التشكيلي المصري في رؤيته الفنية إلى استلهام الحلم ورموزه كحالة تزاوج بين ما هو خاص وما هو عام من خلال المفردة العضوية بشكل عام والإنسان بشكل خاص، وبين ما هو هندسي في بناء العمل الفني. ومن ثم فهي رؤية تجنح إلى التعبيرية التجريدية أكثر ممّا تأخذ من السريالية.

وللأدب والشعر تأثير خاص ينعكس بشكل واضح على رؤية الفنان المصري المخضرم، كذلك فن السينما في ما يخصّ المونتاج ويدخل في إطار البناء والتعامل مع المفردة في علاقاتها بغيرها وعلاقاتها بالفراغ. ثم الموسيقى التي لها تأثير موازٍ في تجربته الإبداعية. أما الإنسان داخله وخارجه فهو المعطى الأول والمحرّك إلى دخول التجربة الفنية، وبالمثل هناك وجود آخر للطبيعة المصرية على تنوعّها حيث تمهّد لاكتشاف ما هو متوار في بحثه المستدام عن معطى مادي على سطح العمل الفني.

وعنه يقول الناقد الفني والفنان التشكيلي المغربي إبراهيم الحيْسن "بديناميكية فنية متجددة، اشتغل عيسى ولا يزال يشتغل على الحَفر في ثنايا المادة واللون بعشق إبداعي نادر تنخرط فيه كل المشاعر والحواس والمخيّلة محتميا في ذلك بتاريخ فني حافل بالعطاء والإنتاج المثمر على امتداد سنوات".

وهو الذي تناول في تجربة صباغية سابقة ثيمة الوطن مجازيا، لكن بتجريدية صدّاحة تعبيرية تمتح خصوصياتها البصرية والجمالية من بلاغة اللون وصلابة المادة وسُمكها، وذلك باستعمال خامات ومواد متنوّعة مكوّنة من قصاصات الصحف وشرائح الخشب وخلائط الجبس والإسمنت وصبغات الأكريليك التي يتمّ إدماجها وتثبيتها مفاهيميا بأسلوب التغرية والكولاج ما يمنح السطح أوجها ملمسية كثيرة مفتوحة على تعدُّد القراءات والتأويلات.

ويضيف الحيْسن "في تجربة صباغية أخرى ممتدّة أبرزت أن عيسى يؤمن إيمانا قاطعا بأن 'من يحب الشجرة يحب الأغصان'، كما في قول الكاتب المسرحي موليير، لذلك تمضي رهاناته في هذه التجربة الفنية قدما في الحفر في التاريخ الثقافي الإنساني وفي ذاكرة البيئة من خلال بعض عناصرها ومكوّناتها التي تنهض على معاني العطاء والخصوبة، من ذلك اشتغاله على شجرة الجميز التي عرفها الناس منذ ميلاد الإنسان، وهي بذلك ترمز إلى الصمود والبقاء والألوهية، وقد ارتبط بها الفراعنة كثيرا، حيث جسّد هذا الارتباط أهم العلاقات التي نسجها البشر مع الشجر".

ولأن هذه الشجرة المعمِّرة ارتبطت طويلا بالفكر المصري القديم، فإن عيسى جعل منها في لوحاته الصباغية صورة أخرى لهذا الفكر الإنساني الممتّد، حيث تأتي لوحاته محملة بالكثير من الإشارات التشكيلية احتفاء بجزء من موروثه البيئي، بأسلوب صباغي نادر يثير الدهشة والانبهار، وفي عمقه تتناسل المفردات الفنية واللمسات اللونية الواثقة الدّالة على اندماج مقاصد الفنان بوصفها محاكاة داخلية لذاكرة مشتركة. زد على ذلك اشتغاله الرمزي على طائر الهدهد بألوانه المرقطة وبما ينطوي عليه من تجليات وتأويلات ميثولوجية عديدة بالغة "التقديس" والتجذّر في الوعي الشعبي.

ومصطفى عيسى من مواليد العام 1955 بكفر الدوار محافظة البحيرة، حاصل على بكالوريوس فنون جميلة 1979، قسم التصوير، ضمن أول دفعة بتقدير عام جيد جدا بجامعة حلوان، كما حصل على دكتوراه الفلسفة في الفنون الجميلة من جامعة الإسكندرية في العام 2000، بعنوان "استلهام رمزية الحلم في فن التصوير المصري المعاصر".

شارك في ما يزيد على مئة وخمسين معرضا جماعيا داخل مصر وخارجها، وله خمسة عشر معرضا خاصا، منها "جماليات الحلم"، و"نتوءات الجسد"، وآخرها "وطن لا يصدأ".

لكل منا جذور: البشر والنبات والحيوان

قفز طفولي على جثث الضحايا الأبرياء

أسلاك ممتدة إلى العدم

واقع مأساوي ما زال يصرّ على أن يكون حمّالا للألوان

فنان عراقي يحوّل انقطاع التيار الكهربائي إلى حالة وجودية

نبيل علي يسرد أوجاع الوطن العربي في لوحات سريالية واقعية

غاص الفنان التشكيلي العراقي نبيل علي من معرض فني إلى آخر في متاهة الفن الملتزم بقضايا شعبه أكثر فأكثر، حتى وصل إلى حدود إنجاز العديد من اللوحات التي نشرها وينشرها تباعا على صفحته الفيسبوكية، تُعلن نيابة عنه أن لا فنٍ في منطقتنا العربية يملك الترف في ألا يكون منغمسا في واقع مأساوي مازال يصرّ على أن يكون حمّالا للألوان التي ما انفكت تحلم بتوهّجها وبالتفوّق على ظلالها الدامسة والمعتمة.

ميموزا العراوي
ناقدة لبنانية

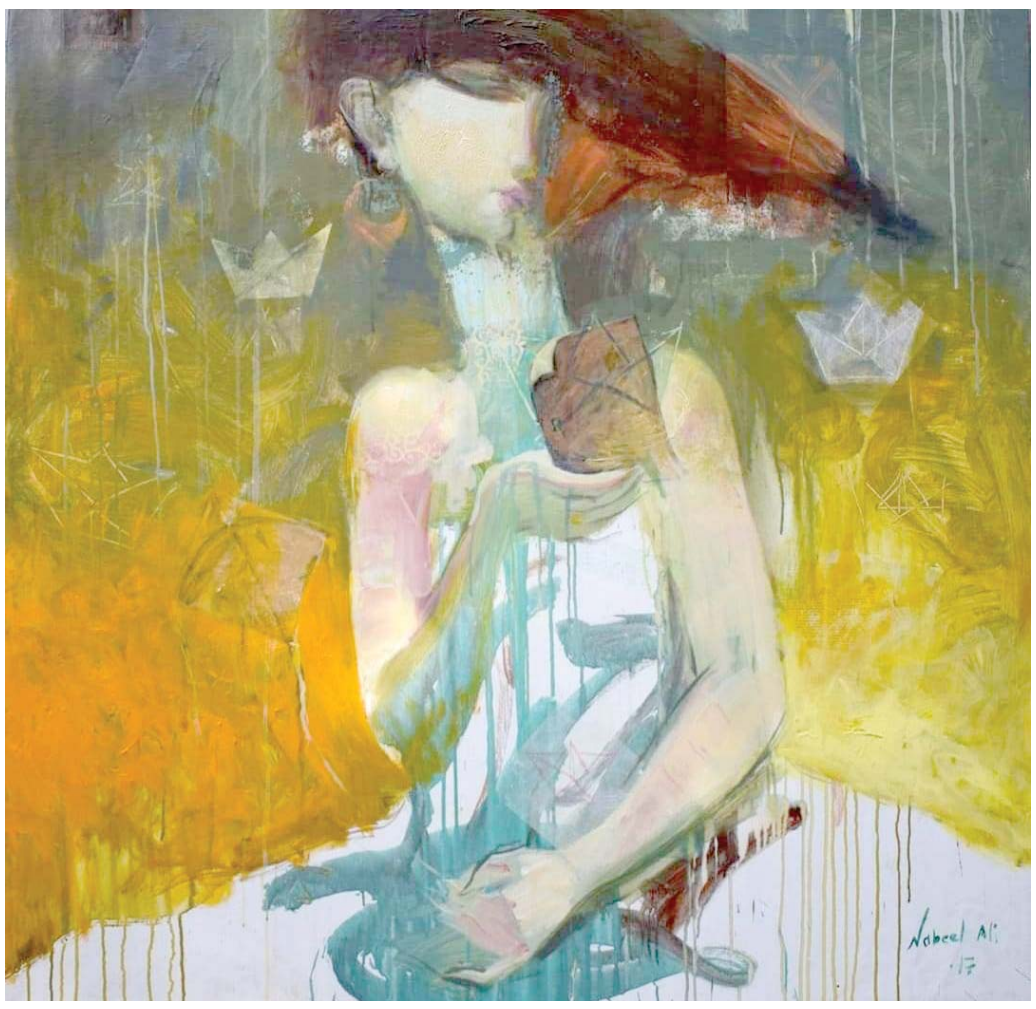

امرأة تنتظر الحب في زمن القلق

نبيل علي هو فنان تشكيلي عراقي لم تخرج أعماله الفنية -حتى الأخيرة منها- عن سطوة الانطباعية التعبيرية، حتى تلك التي جنحت بقوة إلى سريالية لا جدال فيها.

مؤخرا نشر الفنان أعمالا جديدة له على صفحته الفيسبوكية تتّضح فيها شخصيته الفنية القائمة على اعتياد استساغة اللقمة المرّة، كفنان عربي معاصر لأزمات بلاده، لأنه تمكّن من تحليتها بالصبر الجميل وبالخيال الخصب الذي يستمدّ قوته من عراقة الحضارات وأساطيرها ومن طفولة حكيمة استطاعت أن تلازمه هو وأعماله عبر إرسائها مفرداتها البصرية في قلب نصوصه الفنية.

والقارب الورقي وأشكال الأزهار البسيطة جدا، والأسماك والديكة التي تلعب أدوار الأحصنة مع خيّالتها ليست إلاّ بعض تلك المفردات التي حضرت في لوحاته.

غير أن أعمال علي التي قدّمها في معرضه الأخير خلال هذه السنة اجتاحتها مشاهد كابوسية لم تنف تلك المفردات، بل وظفتها في خدمة تلك الكوابيس؛ كوابيس لم يخترعها الفنان بل استقاها من واقع بلده المأزوم ومن واقع العديد من الدول العربية المجاورة ومنها لبنان. ونذكر بشكل خاص اللوحات الغرائبية المُعبّرة جدا والتي جسّد فيها الفنان أزمة انقطاع الكهرباء التي عانى ولا يزال يعاني منها الشعب العراقي كما يعاني منها الشعب اللبناني حتى كتابة هذا المقال.

مشاهد كابوسية

لم يتخل الفنان في أعماله الأخيرة عن الانطباعية التعبيرية حتى وهو في أوجّ "سرياليته"، وربما يعود ذلك إلى غنائية مُلتصقة بشخصيته التصاقا كاملا تمنعه من أن ينزلق إلى السريالية التي مهما بلغت مشاهدها درجات عالية في التعبيرية تظلّ تتّسم ببرودة يعود أساسها إلى انفصالها عن الواقع بمظاهره المعهودة.

أضف إلى ذلك أن السريالية، كما الصور التي تنتجها الأحلام، تعلن عن ذاتها أنها "غير مخيفة"، لأنها عرضة للاندثار في أي لحظة يستفيق فيها الحالم.

وخلال مسيرته الفنية أقام علي العديد من المعارض الفردية المتتالية التي اشتدّت فيها نبرة الخيال الذي نودّ أن نسميه بغير السريالي، لأنه غير منفصل عن الواقع.

ظهر عالمه الفني الحالي/ الخيالي معجونا بالواقع إلى أقصى حد، مُحيلا ذاكرة المُشاهد إلى الأعمال الفنية الكابوسية التي راجت في ألمانيا بعد الحرب العالمية.

وظهرت ملكة الخيال في أعماله كلها كلغة وكوسيلة استحوذ عليها الفنان كي يسرد قصصه المؤثّرة عن عالمه المحيط الغارق في الأزمات. فلا الخيال الجامح وجمالية تحقّقه هو الهدف، بل هو السرد المخفّف لوطأة الألم مُستعينا بالخيال والمشاهد "غير المعقولة" وليس معتمدا عليه.

ولعل أهم معرض قدّمه الفنان نبيل علي هو المعرض قبل الأخير الذي حمل عنوان "قوارب ورقية". وقد اختار الفنان العنوان بذكاء يتطابق مع ما عُرض من أعمال طغت عليها ألوان تشفّ على بعضها البعض وتعجّ بحركة الشخوص المرسومة التي تذكّر المُشاهد بتقلب الأمواج وطيران الطائرات الورقية في زُرقة لا هي سماء ولا هي ماء، بل الاثنين معا.

معرض تحضر فيه المرأة بحلة جديدة، المرأة ذاتها التي رسمها الفنان كثيرا في لوحات سابقة، والتي بالرغم من جماليتها لم تخرج عن الصورة النمطية الشاعرية التي رسمها فنانون مشرقيون كُثر هم أوفياء لأجوائهم المشرقية.

ففي تلك الأعمال بدأ الفنان يُظهر تحوّله إلى استخدام الرموز والإيحاءات والمعاني المُبطّنة، فارتقى مستوى مضمون لوحاته ولم تعد "جميلة فقط"، إن صحّ التعبير، بل أصبحت تعجّ بعوالم داخلية ومفردات بصرية طوّعها علي لتسرد الحب في زمن القلق، والحلم رغم المصاعب، والتقدم رغم المعوقات، وتسرد البحر وتكون زبده، والفضاء المفتوح وأحوال تلقفه للشخوص السابحين أو المحلقين أو المزروعين في ثبات المحيط اللوني الغنيّ بالتدرجات اللونية.

بين الواقع والوهم

غادرت قوارب الفنان نبيل علي أماكنها الطبيعية، أي الشاطئ وصفحات البحر، لتصبح قبعات تعتمرها شخصياته المرسومة؛ شخصياته "الشريرة" و"الخيّرة" على حد السواء، مع اختلاف في القيمة "الأخلاقية" التي أسبغها على هذه الشخصيات.

فشخصياته الخيّرة تماهت مع حركة السباحة أو العوم في فضاء اللوحة، أما الشريرة فظهرت مع مفردات من عالم الطفولة كالقفز على الحبل، ولكن فوق جثث الضحايا الأبرياء.

لم يفش الفنان بخفة وضبابية ريشته إن كان ما يرسمه قد حصل فعلا أو هو نتاج خيال وقع في أتون القلق الشاعري.

مجمل الأعمال المعروضة آنذاك كانت على ذمة التأرجح بين المُتحقّق وما أراد أن يتحقّق فخانته ظروفه، وبين الواقع والوهم، وبين الجارح بواقعيته والمُبلسم بجموح خياله.

وأهمية ذلك المعرض أنه "بشّر"، إذا جاز التعبير، بدخول الفنان إلى مرحلة جديدة تلعب فيها الفكرة دورا تأسيسيا. ولعل اللوحات التي نشرها علي حديثا على صفحته الفيسبوكية مؤشّر نضوج فني خرج من رحم معرضه قبل الأخير "قوارب ورقية".

وقد فعل ذلك دون أن يفقد شاعرية ألوانه وغنائية أجوائه الملوّحة بانطباعات تشكّلت على صفحات لوحاته كما يتشكّل انعكاس السحب البيضاء والرمادية وزرقة السماء المُتلبّدة بها على البحيرات الهادئة التي لا يخلو قاعها من خضرة نبات وتدرجات لون الحصى.

والفنان نبيل علي من مواليد بغداد في العام 1980، متحصل على دبلوم معهد الفنون الجميلة عام 2003، وبكالوريوس كلية الفنون الجميلة في بغداد سنة 2009، وهو عضو جمعية الفنانين التشكيليين العراقيين وعضو نقابة الفنانين التشكيليين العراقيين وأستاذ في كلية التربية الفنية – الجامعة المستنصرية.

الصور التي تنتجها الأحلام تعلن صراحة أنها غير مخيفة، لأنها عرضة للاندثار في أيّ لحظة يستفيق فيها الحالم

له العديد من المعارض الشخصية منها "للأنثى حديث وموسيقى" في العاصمة الأردنية عمّان (2016)، و"قوارب ورقية" في القاهرة (2017)، و"أسفار" في القاهرة (2020)، كما له معرض شخصي افتراضي على موقع وزارة الثقافة العراقية (2020). وأعماله مقتناة في العديد من دول العالم كتركيا والولايات المتحدة والمملكة المتحدة والأردن والإمارات وقطر.